صفات عباد الرحمن

٣ ــ قيام اللّيل

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نعيش مع عباد الرحمن، مع هذه اللّوحة القرآنية التي رسمها الله تبارك وتعالى لعباده، ليصوّر فيها نموذجاً لنا من النماذج الراضية المرضية عند الله تبارك وتعالى، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٦٤].

حدّثنا الله تعالى عن حالهم في أنفسهم، وحالهم (التواضع) لا الفخر ولا الكبرياء: «يمشون على الأرض هوناً».

وحدّثنا عن حالهم مع النّاس، وهي حالة من لا يشغل نفسه بالسفهاء، ولا يخاطب الجاهلين إلاّ سلاماً: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

وهو هنا يحدّثنا عن حالهم مع ربّهم، وتتجلّى حالهم هذه في جنح اللّيل، إذا أرخى اللّيل سدوله، إذا أوى النّاس إلى فرشهم ولحفهم، كان لهم حال مع الله: «يبيتون لربّهم سجداً وقياماً»، والخليّون هُجّع، والناس في غفلاتهم نائمون، أو في سهرهم ماجنون، أو في مجرنهم ساهرون.. هناك «يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً».

إنّهم في ليلهم بين سجود وقيام، وهذه أظهر حال الصلاة: السجود والقيام «أقرب ما يكون العبد من ربه ـ عزّ وجلّ ـ وهو ساجد، فأكثروا

الدعاء»[1].

وصفوا بالسجود حيث يضعون جبهاتهم على الأرض لله تبارك وتعالى، هذه الجباه التي علت وارتفعت فلا تنحني لمخلوق، إنّما تنحني لله سبحانه وتعالى، راكعة ساجدة، خاشية خائفة، طامعة في رحمة الله عزّ وجلّ.

«يبيتون لربهم سجّداً وقياماً» فهم بين سجود وقيام، يقومون يتلون كتاب الله، يقرأون كلام الله، يسألونه الرحمة، ويستعيذون به من النّار.

إنّهم يفعلون ذلك ليس طلباً لمرضاة أحد، ولا ابتغاء محمدة أو شهرة، وإنّما يفعلون ذلك لله: «يبيتون لربهم».

إنّهم يبيتون لله، يبتغون وجهه، يرجون رحمته، ويخافون عذابه، وصدق الله العظيم حينما وصف أمثال هؤلاء فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾[2] [الزمر: ٩] هذا هو العلم، العلم بما أعدّه الله لعباده الصالحين فِي الآخرة من نعيم، وما أعدّه للآخرين من عذاب أليم.

«يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه»: كان لبعض السلف غلام، خادم عندهم، فكان يقوم اللّيل، فقال له مولاه (سيّده): إنّ قيامك بالليل يؤثّر على عملك في النّهار.

قال: وماذا أعمل؟ إنِّي إذا تذكرت الجنّة طال شوقِي، وإذا تذكرت النّار طال خوفِي، فكيف لِي أن أنام بين خوف يزعجني وشوق يقلقني؟!

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والنّسائي، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: الحديثان ١٩٣، ٩٢٣).

(٢) وتتمتّها: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾.

هـؤلاء هـم الـذيـن ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦] ، رغم أنّ المضجع هنيء والفراش ليّن، فإنّهم يَدَعُون ذلك كلّه لله.

روى الإمام أحمد[1] عن ابن مسعود عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «عجب ربنا تعالى من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحِبِّه إلى صلاته، فيقول الله جلّ وعلا: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبّه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي، وشفقة ممّا عندِي. ورجل غزا فِي سبيل الله، وانهزم أصحابه، وعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى يُهريق دمه، فيقول الله: انظروا إلى عبدي رجع، رجاء فيما عندِي وشفقة ممّا عندِي حتى يُهريق دمه».

الخوف والطمع، أو الرغبة والشفقة، الرغبة فيما عند الله من المثوبة، والشفقة ممّا عنده من العقوبة، هو الذي جعله يترك الفراش اللّين والمضجع الطيّب إلى الله عزّ وجلّ.

الرجل الآخر: الذي غزا لله، وحينما رأى أصحابه انهزموا، وعلم ماله في الرجوع وما عليه من الفرار، رجع وقاتل حتى أهريق دمه، يعجب الله منه ويُباهي به ملائكته.

كلاهما مجاهد، كلاهما مكابد، هذا جاهد النّفس حتى أهراق دمه فِي مرضاة الله، وهذا كابد اللّيل وقام يرضي الله سبحانه وتعالى.

الله تعالى وصف المتقين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨] ، قلّ هجوعهم، وقلّ نومهم باللّيل، وفي

---

(١) ورواه أيضاً أبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه، وحسّن الهيثمي إسناده (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢٢١، الحديث ٣٢٣).

آخر اللّيل يستغفرون، يشعرون بالتقصير رغم قيامهم ومكابدتهم لليّل وطوله، وبأنهمّ مفرّطون في جنب الله، مقصّرون في حقّ الله، فيطلبون المغفرة من الله عزّ وجلّ.

كان بعض السلف يقوم من اللّيل حتى إذا جاء السحر قال: يا ربّ إنّ مثلي يستحِي أن يسألك الجنّة، فأسألك برحمتك أن تجيرني من النّار.

يرى أنّه ليس أهلاً لأن يطلب الجنّة، فحسبه أن يسأل النّجاة من النّار!

هؤلاء هم الذين حدا بهم الخوف والطمع ـ الخوف ممّا عند الله والطمع فيما عند الله ـ إلى أن يَصفّوا أقدامهم لله راكعين ساجدين، يُناجونه قائلين:

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهنّ لغير فقدك ضائع!

توفي سيّد الصوفيّة فِي عصره، وشيخ المرّبين الروحيّين: الجنيد رحمه الله، فرآه بعض أصحابه في المنام، فسأله عن حاله، فقال له: ذهبت الإشارات، وطاحت العبارات، وضاعت العلوم، وفنيت الرسوم، ولم ينفعنا إلاّ ركيعات كنّا نقوم بها فِي جوف اللّيل!

وصف الشاعر ابن الرومي هؤلاء القوّام، المستغفرين بالأسحار في قصيدة له وصفاً مُبدعاً حينما قال:

تتجافى جنوبهم عن وطِيء المضاجع
كلّهم بين خائف مستجير وطامع
تركوا لذّة الكَرَى للعيون الهواجع
ورعوا أنجم الدُّجى طالعاً بعد طالع
لو تراهم إذا هُمُ خطروا بالأصابع
وإذا هم تأوّهوا عند مرّ القوارع
وإذا باشروا الثرى بالخدود الضوارع
واستهلّت عيونهم فائضات المدامع

ودعـــوا: يـــا مـــلـــيـــكـــنـــا يـــا جـــمـــيـــل الـــصـــنـــائـــع
اعـــف عـــنّـــا ذنـــوبـــنـــا لـــلـــوجـــوه الـــخـــواشـــع
اعـــف عـــنّـــا ذنـــوبـــنـــا لـــلـــعـــيـــون الـــدوامـــع
أنـــت - إن لـــم يـــكـــن لـــنـــا شـــافـــع - خـــيـــرُ شـــافـــع
فَـــأُجِـــيـــبـــوا إجـــابـــة لـــم تـــقـــع فِـــي الـــمـــســـامـــع
لـــيـــس مـــا تـــصـــنـــعـــونـــه أولـــيـــائـــي بـــضـــائـــع
تـــاجـــرونـــي بـــطـــاعـــتـــي تـــربـــحـــوا فـــي الـــبـــضـــائـــع
وابـــذلـــوا لـــي نـــفـــوســـكـــم إنّـــهـــا فِـــي ودائـــعـــي![1]

هؤلاء هم قوّام اللّيل تتجافى جنوبهم عن المضاجع، واللّيل للنّاس فيه أحوال ومنازل:

هناك من يقضي اللّيل في طاعة الله، وهناك آخرون يقضونه في نوم إلى الصباح، وهناك من يسهرون اللّيل، ولكن فيم يُسهرون الجفون؟ وفي أيّ حال يعيشون؟

إنّ هناك من يسهر في اللّهو والمجون، هناك من يسهر في لهو وعبث حتى قُرْب الفجر، فإذا قَرُب الفجر نام، ولم يقم إلاّ في الضحى أو في الظهر.

هناك من يبيت ليله ليلاً أحمر في سهرات ومنكرات، يعب من الشهوات ويقارف المنكرات، لا يخشى خالقاً، ولا يستحي من مخلوق.

هناك من يقضي اللّيل في إجرام، يُبَيِّتُ المكايد والشرور والأذى للنّاس.

وهناك من لا همّ له إلاّ الأكل والشرب والنوم، فنهاره شراب وطعام، وليله رقود ومنام، على نحو ما قال القائل:

---

(١) ديوان ابن الرومي: ٤/١٤٨٢، ١٤٨٣، طبعة دار الكتب المصريّة.

إنّما الدنيا طعام وشراب ومنام

فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام!

هذه أنواع من اللّيل لأصناف من الناس، وأمّا ليل هؤلاء: فهو «يبيتون لربهم سجّداً وقياماً».

كان رسول الله ﷺ ـ كما وصفته عائشة ـ : «يقوم من الليل حتى تتفطّر قدماه» أي: تتشقّق، وفي بعض الروايات: «حتى تتورّم قدماه» فقالت له: لم تصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: **«أفلا أحبّ أن أكون عبداً شكوراً»**[1].

دخل عليها يوماً عبيد بن عمير وعطاء ابن أبي رباح فسألاها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟ فسكتت، ثمّ قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: **«يا عائشة، ذريني أتعبّد الليلة لربّي»**، قلت: والله إنّي أحبّ قربك، وأحبّ ما يسرّك، قالت: فقام فتطهر، ثمّ قام يصلّي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، قالت: وكان جالساً، فلم يزل يبكي ﷺ حتى بلّ لحيته، قالت: ثمّ بكى حتى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلمّا رآه يبكي قال: يا رسول الله، وتبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] [آل عمران: ١٩٠] ـ الآية كلّها ـ»[3].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، عن عائشة رضي الله عنها (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٢١٨ برقم ٣١٢).

(٢) وما بعدها.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عبيد بن عمير رضي الله عنه، ونسبه ابن كثير في تفسيره أيضاً إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن أبي الدنيا، وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصراً على جزء من آخر الحديث، وانظر نصّ الحديث في (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوي: ١/٤٢٨ ـ ٤٢٩ برقم ٨١٠).

هكذا كان ليله ﷺ، وهكذا كان أصحابه.

كانوا يشمّرون عن ساعدهم، كانوا يحاولون أن يقوموا الليل كلّه، وكان منهم من لا يكتفي بقيام نصف اللّيل أو ثلثيه، ويريد أن يقوم اللّيل كلّه، والنّبيّ ﷺ يحاول أن يردّهم إلى الاعتدال حتى يدوموا عليه، فـ «أحبّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ»[1].

كانت أشواقهم عالية، كانت هممهم رفيعة، فلم يكونوا يقتصرون على الفرائض، بل كانوا يحبّون أن يتنفّلوا وأن يستزيدوا، وأن يكثروا من رصيدهم عند الله عزّ وجلّ، هكذا كان سلف هذه الأمّة.

باع الحسن بن صالح ـ من فقهاء السلف ـ جارية كانت عنده لقوم، فلمّا كان الثلث الأخير من الليل قامت تنادي فيهم: الصلاة.. الصلاة، فقالوا لها: أأصبحنا؟ أطلع الفجر؟ قالت لهم: وما تصلّون إلاّ الفجر؟! قالوا: بلى ما نصلّي إلاّ المكتوبة، فرجعت إلى سيّدها الأوّل وقالت له: بعتني لقوم ليس لهم حظّ من اللّيل، بالله عليك إلاّ رددتني!

هكذا كانوا، أحراراً وعبيداً، حرائر وإماء، ورجالاً ونساء، كانوا يقومون اللّيل كلّه.

مرّ أبو حنيفة ـ وكان يقوم بعض الليّل ـ على قوم فقال بعضهم وأشار إليه هذا هو الرجل الذي يُحيي اللّيل كلّه، فقال: والله إنّي لأستحِي من الله أن أُوصف بما لا أفعل، فكان بعد ذلك يحيي اللّيل كلّه.

وكان منهم من يقوم جزءاً منه، وهذا هو الأوفق للسّنّة والأرفق للبدن. قال النبي ﷺ: **«أحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحبّ الصيام إلى الله صيام**

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها (الجامع الصغير: ١/ ١١) قال المناوي: ورواه أحمد بلفظ: «أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ» والله أعلم (فيض القدير: ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦ برقم ١٩٧).

داود، كان ينام نصف اللّيل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه...»[1].

أي ينام الجزء الأخير من الليل حتى يقوم بنشاط.

فكانوا حريصين على جوف اللّيل، كما جاء في الحديث: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل»[2].

وقد ورد أنّ الله سبحانه وتعالى ينزل إلى عباده ويتجلّى عليهم في الثلث الأخير من الليل ويناديهم: هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فَيُعطى سُؤله؟ هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر[3].

إنّها ساعات الأسحار.. ساعات التجلّي: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف اللّيل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممّن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[4].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢١٨ برقم ٣١٣)، وتتمة الحديث: «ويصوم يوماً ويفطر يوماً».

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، والروياني في مسنده، والطبراني في الكبير عن جندب (الجامع الصغير: ١/ ٥٠) قال المناوي: ووهم الطبراني في عزوه له (فيض القدير: ٢/ ٤١ ـ ٤٢ برقم ١٢٧٤) وتتمة الحديث: «وأفضل الصيام بعد شهر رمضان لشهر الله المحرّم».

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كلّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟» رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، وفي رواية لمسلم: «إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فيُعطى؟ هل من داع فيُستجاب له؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ حتى ينفجر الصبح». قال الشيخ القرضاوي معلّقاً على الحديث: والمؤمن يسلم بصحّة الحديث، ويوقن بمضمونه، ولا يخوض في كنهه، وينزه الله تعالى عن مشابهة خلقه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧ برقم ٩٢٤).

(٤) رواه الترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه ابن خزيمة في=

ومن لم يستطع أن يكون له حظّ من الليل، لا نصف ولا ثلث، ولا سدس، فليحرص على أن يُصلّى العشاء في جماعة والصبح في جماعة، فإنّ النبي ﷺ قال: «من صلّى العشاء في جماعة فكأنّما قام نصف الليل، ومن صلّى الصبح في جماعة فكأنّما صلّى الليّل كلّه»[1].

ومن لم يفعل ذلك، من كان أدنى من هذه المنازل، فليحرص على الصلوات في أوقاتها، ولا يضيع الصلاة حتى تشرق عليه الشمس وهو نائم.

ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه»[2]، قال الحسن: إنّ بوله والله لثقيل.

وما أكثر الذين جعلوا من آذانهم مباول للشيطان!

لقد فسد على النّاس نظام حياتهم، كان النّاس من قبل ينامون مبكّرين، ويستيقظون مبكّرين، فلمّا جاءت الأجهزة الحديثة ـ أجهزة الإعلام والأفلام والمسلسلات ـ التي تُسهر الناس إلى ما بعد نصف الليل، أصبح من العسير على الناس ن يقوموا في الصباح الباكر.

ينبغي أن تكون الصلاة هي المنظّم لحياة المسلمين، ولمواعيد يقظتهم ونومهم، ليستقبلوا الصباح الباكر من يد الله طهوراً قبل أن تلوثه أنفاس العصاة، ففي الحديث: «اللّهمّ بارك لأمّتي فِي بكورها»[3].

= صحيحه، والحاكم وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢٢٠ برقم ٣٢١).

(١) رواه مالك، ومسلم واللفظ له، وأبو داود، والترمذي، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ١٧٤ برقم ٢٠٣).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والنّسائي، وابن ماجه، عن ابن مسعود ورواه أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة وقال: : «في أذنه» عن الإفراد وزاد في آخره قول الحسن (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ برقم ٣٣١).

(٣) رواه الأربعة، وحسّنه الترمذي، وصحّحه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة=

ورد عن النبي ﷺ فيما رواه البخاريّ: يعقد الشيطان على قافية رأس[1] أحدكم ـ إذا هو نام ـ ثلاث عقد؛ يضرب على كلّ عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلّت عقدة، فإن توضّأ انحلّت عقدة، فإن صلّى انحلّت عقده كلّها، فأصبح نشيطاً طيبّ النفس، وإلاّ أصبح خبيث النفس كسلان»[2] لا زالت عقد الشيطان على رأسه، ولذلك قال النبي ﷺ: «فحلّوا عقده الشيطان ولو بركعتين»[3].

هكذا يريد منّا رسول الله ﷺ : ألاّ نستسلم للشيطان.

إنّ الذي يعين الناس على قيام الليل ـ كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه[4] ـ أن يتخفّفوا من المآكل والمشارب، وقد قال بعض الصالحين: لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسّروا عند الموت كثيراً.

وممّا يعين ـ أيضاً ـ على ذلك: ألاّ يجهد الإنسان نفسه بالنّهار فلا يستطيع القيام بالليل، وأن يستعين كذلك على قيام الليل بالقيلولة كما ورد في الأثر[5].

= الغامدي، وزاد: وكان ـ أي النبي ﷺ ـ إذا بعث سريّة أو جيشاً بعثهم أول النهار، قال: وكان صخر تاجراً، فكان يبعث في تجارته في أوّل النّهار، فأثرى وكثر ماله، انظر (المقاصد الحسنة للسخاوي: حديث ١٧١).

(١) قافية الرأس: مؤخّرة، ومنه سمّي آخر بيت الشعر قافية.

(٢) رواه مالك، والبخاري، ومسلم، وأبوداود، والنّسائي وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢١٦ برقم ٣٠٧).

(٣) هذه الزيادة أوردها ابن خزيمة في صحيحه.

(٤) في الباب الثاني من كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل، وهو الكتاب العاشر من (إحياء العلوم الدين)، وبه اختتام ربع العبادات.

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «استعينوا بطعام السحر على صيام النّهار، وبالقيلولة على قيام الليل» رواه ابن ماجه، والحاكم وصحّحه، والبزار، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، وزمز له السيوطي بالصّحّة، لكن فيه زمعة بن صالح ضعيف لخطئه ووهمه وإن كان صدوقاً (فيض القدير للمناوي : ١/ ٤٩٤ برقم ٩٨٦) (كشف الخفاء للعجلوني: ١/ ١١٩ برقم ٣٣٠).

دخل الحسن البصري السوق فوجد أهله في شغل شاغل بدنياهم، وعجب من لغطهم ولغوهم فقال: ما أظنّ ليل هؤلاء إلاّ ليل سوء فإنّهم لا يقيلون.

ثمّ على الإنسان بعد ذلك أن يبتعد عن الحرام، وأن يجتنب الذنوب، قال سفيان الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي: هذا مراء يرائي النّاس.

وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد إنّي أبيت معافى وأحبّ قيام اللّيل وأعدّ طهوري فما بالي لا أقوم؟ قال: لعلّ لك ذنوباً قيدتك.

وعلى الإنسان المسلم الذي يريد أن ينشبّه بهؤلاء:

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إنّ التشبّه بالرجال فلاح

عليه أن يتذكّر الآخرة، يتذكّر الموت وما بعده، كان بعضهم يقول لنفسه إذا أراد النّوم:

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النّوم تورث الحسرات

إنّ في القبر إن نزلت إليه لرقاداً يطول بعد الممات

عليه أن يتذكّر الجنّة والنّار، قال طاووس: إنّ ذكر جهنّم طيّر النّوم من أعين العابدين.

على الإنسان أن يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، يقول ﷺ: «**علكيم بقيام اللّيل فإنّه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربّكم، ومكفرة للسّيّئات، ومنها عن الإثم**»[1].

قيام اللّيل يبدأ من بعد صلاة العشاء إلى الفجر.

---

(١) رواه الترمذي، وابن أبي الدنيا في كتاب التهجدّ، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٢١٨ ـ ٢١٩ برقم ٣١٥).

تستطيع أن يكون لك حظّ في هذا الوقت، وإذا لم تكن تستطيع أن تقوم قبل الفجر، فصلّ بعد العشاء.

صلّ ما استطعت من ركعتين، إلى أربع، إلى ستّ، إلى عشر، إلى اثنتي عشرة ركعة، واختم بالوتر[1]، فإنّ آخر صلاة اللّيل مشهودة.

على المسلم أن يستفيد من الليل، من هذا الوقت الذي يتجلّى الله سبحانه وتعالى فيه لعباده، وألاّ يضيع حظّه من الليل، فإذا لم يكن له حظّ من اللّيل، فكما قال بعض السلف: إذا لم يكن لك حظّ من اللّيل، فلا تعصي ربَّك فِي النّهار.

وهذا أدنى المنازل.

أقلّ ما يطلب منك أن تؤدّي الفرائض.

الله وصف (عباد الرحمن) بأنّهم: «يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً»، ولم يصفهم بأنّهم يحافظون على الفرائض، فهذه منزلة دون منزلتهم، وهم أعلى من ذلك وأرفع.

ذكر النبي ﷺ الجنّة فقال: «فِي الجنّة غرفة[2] يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»، فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والنّاس نيام»[3].

وقال عبد الله بن سلاّم: أوّل ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل النّاس إليه (أي أسرعوا ومضوا إليه) فكنت فيمن جاءه، فلمّا تأمّلت وجهه، واستبنته،

---

(١) عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «اجعلوا آخر صلاتكم باللّيل وتراً» متفق على صحته (شرح السنة للبغوي: ٤/ ٨٦ برقم ٩٦٥).

(٢) في المستدرك: «إنّ في الجنّة غرفا» والغرف: المنازل المرفوعة.

(٣) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢١٧٦ برقم ٣١٠).

عرفت أنّ وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أوّل ما سمعت من كلامه أن قال: «أيّها النّاس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والنّاس نيام تدخلوا الجنّة بسلام»[1].

نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء، إنّه سميع قريب، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، ادعو الله يستجب لكم.

● الخطبة الثانية:

أمّا بعد: يقول النبي ﷺ: «**من استيقظ من الليل، وأيقظ أهله فصليا ركعتين، كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**»[2].

وقال: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[3].

ولا شكّ أنّ هذا النضح ـ وهو الرّشّ الخفيف ـ من باب الممازحة، وهو إنّما يكون بناء على اتفاق بينهما، فهما متفاهمان على طاعة الله تعالى، ولا يحبّ أحدهما أن ينفرد بالخير دون الآخر.

إنّها الأسرة المسلمة، الأسرة التي تعيش في ظلال الرحمن، في مرضاة الله

---

(١) رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه والدارمي، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب التغريب والترهيب: ١/ ٢١٧ برقم ٣٠٩).

(٢) رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢١٩ برقم ٣١٧).

(٣) رواه أبو داود، وهذا لفظه، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢١٩ برقم ٣١٦).

تبارك وتعالى، يعين كل منهما صاحبه على تقوى الله تعالى ومرضاته، ونعم الزوجة تعين زوجها على أمر دينه، ونعم الرجل يعين زوجته على طاعة الله.

أين هذا ممّا نراه اليوم من أسر مفكّكة لا يكاد يعرف أحدهم الآخر، وإذا تعارفوا فإنّما يتعارفون على أشياء غير ما يرضى الله تبارك وتعالى؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

ورد في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له، ولعلّها تكون هذه الساعة[1].

اللهمّ إنّا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

اللهمّ إنّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا[2].

اللهمّ اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.

---

(١) يشير الشيخ إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، أنّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه» وأشار بيده يقللها، والمراد بالساعة هنا معناها اللغوي وهو (برهة من الزمن) ولهذا قال: وأشار بيده يقلّلها، ليسارة وقتها، وأمّا تعيين هذه الساعة فقد ورد فيه أحاديث كثيرة صحيحة واختلف العلماء فيها اختلافاً كثيراً، انظر في ذلك (زاد المعاد لابن القيم: ١/ ٣٨٨ ـ ٣٩٧) و (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوي: (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٣).

(٢) وهي من الكلمات التي لم يكن رسول الله ﷺ: يدعها حين يمسي وحين يصبح، كما ذكر ابن عمر رضي الله عنهما فيما رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم. وانظر تعليق الشيخ على هذا الدعاء في كتابه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢٢٨ برقم ٣٤٣).

اللهمّ أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وصلّ اللهمّ على عبدك ورسولك محمدّ، وعلى آله وصحبه وسلّم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

obeikandl.com